

موازنة بين شرحي السيرافي والرّماني لكتاب سيبويه  
د. عمران عبدالنّبي مسعود القمودي – كلية التربية الريانية –  
جامعة الزنتان.

Omran.Algamoudi@uoz.edu.ly

## المُقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

لقد لقي كتاب سيبويه الذي وصفه علماء العربية بـ: (فُرّان النحو) منذ ظهوره حظاً سعيدياً لدى العلماء قديماً وحديثاً، فقد قاموا على خدمة الكتاب بين شرح له، وتعليقٍ عليه، وتفسير لأبياته، وأخذوا يهتمون بشواهد، ويتنافسون على كشف أسرار، لما يحظى به هذا السفر الخالد من مكانة مرموقة في نفوسهم جميعاً، وهذا ما جعل علماء كل عصر يدرس جانباً من جوانبه المتعددة (الصوتية، الصرفية، النحوية والدلالية)، وتاريخ العربية يشهد أنّ القرن الرابع الهجري كان أفضل عصورها بالنتاج الضخم من المؤلفات وأتته كان عصر نضجها واستوائها فكان من أهم أعلام اللغة آنذاك، أبوسعيد السيرافي (368 هـ)، وأبو علي الفارسي، (377 هـ)، وأبو القاسم الرّجّاجي (384 هـ)، وأبو الحسن الرّماني (384 هـ) وأبو الفتح عثمان بن جني (392 هـ)، وغيرهم كثير ....، ولهذا كانت هذه الورقة البحثية بعنوان: (موازنة بين شرحي السيرافي والرّماني لكتاب سيبويه).

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مبحثين، وتمّ تقسيم كل مبحثٍ إلى أربعة عناصر متوازية من حيث التعريف بصاحب شرح الكتاب، ووصف عام للشرح، ومذهبه من خلال شرحه، ثم المنهج المتّبع في الشرح.

## المبحث الأول – شرح السيرافي لكتاب سيبويه:

**التعريف بالسيرافي:** هو أبوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان، القاضي السيرافي النحوي، المعتزلي، اللغوي (1)، ولد في سيراف قبل التسعين ومائتين، وذكر السيوطي أنه ولد قبل السبعين، وفيها ابتداء بطلب العلم وخرج منها قبل العشرين، ومضى إلى عمّان، وتفقّه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى العسكر، فأقام بها مدة عند محمد بن

عمر المتكلم، وكان يفضلهُ على جميع أصحابه، ثم رجع إلى بغداد وبقي فيها إلى أن مات.

وكان يسكن الجانب الشرقي ببغداد، ثم خلف أبا محمد بن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقي، ثم استخلفه على الجانبين وكان أستاذه في النحو. وظل يُفتي خمسين سنة في مسجد الرصافة على مذهب أبي حنيفة، وكان من المعتزلة لكنه لم يظهر شيء من ذلك، وقد كان دُعاة المذهب الاعتزالي يحتجون به وبأمثاله من العلماء الذين قرأوا كتاب سيبويه، وكانوا يحضرون مجالس الخلفاء والأمراء على خصومهم من دُعاة المذاهب الأخرى.

قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، ودرس عليه القراءات، وعلوم القرآن، ودرس اللغة على أبي بكر بن دريد، وقرأ النحو على أبي محمد بن معروف قاضي بغداد، وعلى أبي بكر السراج وأبي بكر الميرمان، وسمع الحديث عن محمد ابن أبي الأزهر البوشنجي، وأبي عبيد بن حربويه، ودرس المنطق والعلوم الرياضية، وأخذ علم الكلام، والفقه والفلك والحساب، وتعلّم الشعر والعروض والقوافي..... إلخ. (2) كان إماماً في العربية علامةً في الأدب في طبقة أبي علي الفارسي، ومحمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، وأبي الحسن بن عيسى الرّماني، وكان الناس يشتغلون عليه بعدة علوم منها: القرآن الكريم، والقراءات، وعلوم القرآن، والنحو، واللغة والفقه، والفرائض، والحساب، والكلام والقوافي والحديث والهندسة، وكان ورعاً زاهداً متعقفاً لا يأكل إلاّ من كسب يده.

وقد أخذ عنه الناس العلوم المختلفة، وذلك لسهولة أسلوبه وجودة تدريسه، قال بعض أهل العلم كُنّا نحضر عند ثلاثة شيوخ من النحويين منهم من لا نفهم من كلامه شيئاً، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه، فأما من لا نفهم من كلامه شيئاً فأبو الحسن الرّماني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبوا علي الفارسي، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي. (3)

أما عن شيوخه وتلاميذه ومصنفاته فلا مجال لحصرهم، ولا يتسع المقام لذكرهم. ومات السيرافي يوم الاثنين الثاني من رجب سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة، ودُفن بمقبرة الخيزران ببغداد بعد صلاة العصر. (4)

**وصف عام لشرح السيرافي:** شرح السيرافي من أجلّ شروح الكتاب وأكثرها إيضاحاً وتفصيلاً، وهو الشرح الذي شاعر في أيدي الناس وعمّم نفعه، وقد عرف له القدماء قدره حتى رأيناهم يجعلون منه عاملاً من عوامل غيرة الفارسي

وحقده على السيرافي، ويقولون فيه أنه عملٌ جليلٌ ما تمَّ لأحدٍ من قبل السيرافي ولا بعده. (5)، وهو شرح في ثلاثة آلاف ورقة، ولم يجاره فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان، ولو لم يكن له غيره لكفاه فضلاً وفخراً. (6)

يقول كرينكو: والمصنف الوحيد الميسور من بين المصنفات العشرة التي نسبها إليه كتاب سيرته، وذكروا عناوينها هو شرحه (الكتاب) لسيبويه، على أن هذا الشرح كان ذائعاً حتى في أيام حياته، وقد ظلَّ أبو علي الفارسي هو وأتباعه يحاولون الحصول على نسخة منه، ليتسقطوا ما قد يكون فيها من أخطاء، ويعلنوها على الناس، واستطاع أبو علي سنة (368 هـ) شراء نسخة بألفي درهم، ولكنه لم يجد فيها ما كان يرجو من أخطاء. (7)

**مذهب السيرافي من خلال شرحه** : لقد كان للسيرافي في شرحه الكتاب ذا نزعة بصرية في أدائه ومنهجه، فهو إذا ذكر البصريين قال عنهم: (أصحابنا)، وإذا ذكر آراءهم أيدها، ودافع عنها ونصرها على آراء الكوفيين، ومثال ذلك أنَّ الفرَّاء والكوفيين يرون أنَّ (لولا) ترفع ما بعدها، وسيبويه لا يرى ذلك لأنَّ ما بعدها مرفوع عنده على الابتداء.

ويعرض السيرافي هاذين الرأيين ويناقشهما ثم يقول: " والصحيح ما قاله سيبويه " (8)، وكذلك كان الكوفيون يرون أنَّ الفعل كالاسم في استحقاقه للإعراب، ويوردون على ذلك حججهم، ولكن السيرافي يرد على هذه الحجج ويأخذ برأي البصريين. (9)

وإنَّ وقوف السيرافي إلى جانب البصريين، وأخذه بآرائهم واضح في جميع أبواب الكتاب، وهو يصرح بذلك أحياناً كما في باب التنثية حيث يقول: (إذا أسوق حكم التنثية على ما يوجبه قول سيبويه وأصحابنا البصريين، واعتلُّ لما يجب الاعتلال له، وقد خالف الكوفيون في بعض ذلك، وأنا أبين خلافهم والحجة لأصحابنا إن شاء الله) (10) والسيرافي - أيضاً - بصري في منهجه القائم على القياس، وهو قياس على الشائع الموثوق لا على القليل الشاذ، ولذلك تابع السيرافي في باب، أي: حين منع القياس على الشاذ المنكر فقال أبو سعيد: لو كانت العربية بنته على الأفراد لزمنا متابعتهم، ولا يلزم القياس على الشاذ في كل شيء، ولذلك كان في أكثر الأحيان يقرن حجته القياسية بالشاهد الموثوق كأن يقول: " والقول الذي ذهب إليه سيبويه هو الصحيح وشاهده القرآن والقياس " (11)، وإذا عاد السيرافي إلى القرآن عوّل على الفرَّاء،

واعتمد أقوال المفسرين كابن عباس ومجاهد (12) ، كما لم يأخذ السيرافي في القرآن برأي نحوي أيّاً كان ، كذلك لم يأخذ في النحو برأي لغوي.

**وخلص القول:** أنه مذهب عالم واضح الفكر مستقل الرأي قال بأكثر ما قال به البصريون، وعدّ نفسه منهم، فلمّا تناول كتاب سيبويه لشرحه، وهو كتاب نحو قائم على القياس والتعليل، وسّعه وزاد عليه، وأضفى عليه من نزعته في حب الوضوح، والميل إلى مذهب البصرة، والتأثر بالفقهاء وعلماء الكلام في أسلوبه وعلله، وطريقة احتجاجه، واعتماده كثيراً من المعاني العقلية في بناء الأحكام النحوية. **منهج السيرافي في شرحه:** لم يكتب السيرافي مقدّمة لشرحه، يبيّن فيها غرضه من الشرح، وأهدافه، وسبب تأليفه، وإن كان مفهوماً من تسميته (بالشرح) أنّه يقصد تفسير ما صعب من عبارات الكتاب وتوضيح ما غمض من الآراء.

**ابتدأه بقوله:** ( بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، قال أبو سعيد: قال سيبويه: هذا باب علم ما في الكلم من العربية)). هذا موضوع كتابه الذي نقله عنه أصحابه رضي الله عنه (...)). وقد تباينت طريقة السيرافي في الشرح، ولم تكن له خطة ثابتة في جميع أبوابه، وفصوله، فهو تارة ينقل عبارة من كلام سيبويه، ويأتي بعد ذلك بشرحها لفظاً لفظاً، مع الإلمام بالأوجه التي يحتملها تعبير سيبويه فيه كما فعل عند كلامه على تسميته (باب علم ما فيه الكلم من العربية). (13) ، حيث فصلّ وأسهب في تبيين الوجوه الجائزة يقول: قال أبو سعيد: قال سيبويه: (هذا باب علم ما الكلم من العربية). هذا موضوع كتابه الذي نقله عنه أصحابه رضي الله عنه، وسبيله في ذلك عن أشياء:

**فأولها:** أن يُقال إلام أشار سيبويه بقوله: (هذا)، والإشارة بها تقع إلى حاضر؟ فالجواب عن ذلك أنه يحمل ثلاثة أوجه، إحداها أن يكون إشارة إلى ما في نفسه من العلم، وذلك حاضر كما يقول القائل: " قد نفعنا عنك هذا الذي ثبتته، وكلامك هذا الذي تكلم به".

**والثاني:** أن يكون إشارة إلى متوقع قد عرف ، وانتظر وقوعه في أقرب الأوقات إليه، فجعله كالكائن الحاضر تقريباً لأمره كقول القائل : (هذا الشتاء مقبل ، وهذا الخليفة قادم ) ومثله قوله - تعالى - : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾. (14) **والثالث:** أن يكون وضع كلمة الإشارة غير مشير بها، يشير بها عند الحاجة والفراغ من المشار إليه كقولك: (هذا ما شهد عليه الشهود المسلمون في هذا الكتاب)، وإنما وضع (ليشهدوا) وما شهدوا بعد.

وأما (علم) فمصدر إمّا أن تكون مصدر: (أن تعلم) و (أن يعلم)؛ لأن المصادر العاملة عمل الأفعال تقدر بـ(أن) الخفيفة والفعل بعدها قدر (علم) بـ(أن تعلم) كان الكلام على (ما) من عدّة أوجه :

**إحداها:** أن تكون استفهاماً، فإذا كانت كذلك كان لفظها رفعاً لو تبيّن فيه الإعراب، ويكون ارتفاعه بالابتداء، ويكون (الكلم) خبره، أو يكون (الكلام) الابتداء، و (ما) خبر مقدّمة، ويكون موضع الجملة التي هي ابتداء وخبر نصباً، ويكشف هذا المعنى لك أنك لو جعلت مكانها (أياً) لقلت: ( هذا باب علم أي شيء الكلم من العربية )، أي: ويكون موضعها مع (الكلم ل) نصباً لأنك أردت: ( هذا باب أي : تعلم) ، فإذا لم تكن استفهاماً قلت: ( هذا باب علم مسألتك) ، وتبيّن الإعراب فيه ؛ لأنّه ليس باستفهام يمنع عمل ما قبله فيه، وإمّا لم يعمل ما قبل (أي) و (ما) ، والأسماء التي تستفهم فيها من قبل إن هذه الأسماء المستفهم بها نائبة عن ألف الاستفهام فيما بعده، لأن حرف الاستفهام يقع صدر الكلام كما يقع (ما) النافية، و (أن) المؤكدة والحروف الداخلة على الجمل لها صدور الكلام.

**والوجه الثاني:** من وجوه (ما) أن تكون بمعنى (الذي) ويكون صلتها (هو الكلم) والدليل على جواز حذفها قوله - تعالى - في قراءة بعضهم ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (15) يريد: ( الذي هو أحسن) كما قرأ بعضهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (16)، وقوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ لَنُنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ (17) أراد (أيهم هم) بمعنى الذي، وحكى الخليل أنّه سمع (ما أنا بالذي قائل لك شيئاً) ، أراد : ( الذي هو قائل لك شيئاً).

وهكذا فصلّ في الإعراب وعدّد في وجوه الإمكان حتى أورد لـ (ما) خمسة عشر وجهاً من وجوه الإعراب.

على أن هذا الإسهاب الزائد لم يكن ليفيد القارئ أو ليزيد الشرح إيضاحاً بقدر ما يزيده إغراقاً في الفروض والنظريات.

وتارة يقدم لكلام سيبويه بما يقربه ويوضحه كما في باب (الهمزة) (18)، يقول: أنا أقدم جملة موجزة في تخفيف الهمزة والبدل منه على مذهب سيبويه قبل ذكر كلامه

فيما بعد لأوطيء جامع كلامه، ومستصعب حكم الهمزة، وأذكر ما خالفه فيه غيره في الموضوع الأشكل به- إن شاء الله تعالى - (19) وقد يأتي السيرافي بالشرح متخللاً كلام سيبويه، أو يشرح بعض الباب ويترك بعضه قائلاً: (وما بقى من الباب مفهوم) أو (باقي الباب مستغنى عن تفسيره). (20) ، وقد يورد الباب كما هو عند سيبويه ولا يشرح منه شيئاً لأنّه (ما في هذا الباب بيّن مفهوم) كما في باب لا تجوز فيه المعرفة إلا أن تحمل على الموضوع (21) أو لأنه ((تركت من الباب ما كلام سيبويه فيه مفهوم)).

وقد يستبدل بالشرح إعادة كلام سيبويه بأسلوب واضح بسيط مستغنياً بذلك عن ذكر كلام سيبويه بألفاظه ثم شرحه، وهو يُبين مثل ذلك بقوله: (ذكرت مسائل سيبويه في الباب بألفاظ فيها بسط وتقريب، وأقمتها مقام الشرح لها)، أو يورد الشرح مباشرة دون أن يذكر شيئاً من كلام سيبويه كما في باب (أحوال الحروف التي قبل النون الخفيفة والثقيلة) (22)، إلا أن أكثر الأساليب انتشاراً في شرح السيرافي أن يقدم للباب بموجز لما جاء في (الكتاب) مسبوقةً بعبارة (وجملة الباب...) أو (أول ما أذكر من الباب ترجمته...) (23) ، ثم يتبع ذلك بالشرح والتفصيل. وقد لا يشرح كلام سيبويه نفسه، إنّما يذكر عبارته بعدها مما عنده في الموضوع مكماً لما تكلم عليه سيبويه، وذلك كما فعل في شرح (باب ما يحتمل الشعر) وقد سمّا (باب ما يحتمل الشعر) يقول: قال سيبويه: أعلم أنّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف يشبهونه بما لا ينصرف من الأسماء؛ لأنّها أسماء كما أنّها أسماء. (24)

قال أبو سعيد : أعلم أنّ سيبويه ذكر في هذا الباب جملة من ضرورة الشعر يرى بها الفرق بين الشعر والكلام، ولم ينتقصه لأنّه لم يكن غرضه في ذكر ضرورة الشعر قصداً إليها نفسها، وإنّما أراد أن يصل هذا الباب بالأبواب التي تقدمت فيما يعرض في كلام العرب ومذهبهم في الكلام المنظوم والمنثور، وأنا أذكر ضرورة الشاعر مُقسّمة بأقسامها حتى يكون الشاذ منها مستدلاً عليه بما أذكره إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق. (25) ، ولا يكتفي السيرافي برأيه كما فعل في (باب ما جرى مجرى كم في الاستفهام) ، قال سيبويه وكأين معناها معنى (رُبّ) قال السيرافي شارحاً هذا: مذهب الفراء أنّ معناها معنى كم لأن النحويين بصريين وكوفيين كثر تفسيرهم لها بـ(كم) قال السيرافي: وما ذهب إليه سيبويه أصح، لأنّ الكاف حرف دخول على ما بعده كدخول (رُبّ) و (كم) اسم في نفسها، وتقول (كم لك؟) ولا تقول (كأيّ لك). (26) ، وقد يصحح الخطأ الذي يرد في الكتاب كما ورد في شرحه قول سيبويه: ( وزعم أبو

الخطاب أنهم يقولون : (أرض وأراض) قال أبو سعيد والذي عندي أن هذا غلط وقع في الكتاب من جهتين....). (27)

وقد يستدرك على سيبويه في بعض المواضع، مثال ذلك ما استدركه على قول سيبويه: (ويكون فيعال فيها ) ، قال السيرافي في قوله والغيداق: هو الكبير الواسع، ووجد بخط ثعلب: الغيداق من الخيل الطويل، والغيداق أيضاً من أسماء ولد الضب يقال لأوّل ما يخرج من بيضه الحسل ثم الغيداق..... (28)

وقد ردّ السيرافي في شرحه في أماكن كثيرة على اعتراضات المبرد في أماكنها من قول سيبويه وبين الخطأ فيها، وردّ على ثعلب وغيره من الكوفيين ونبّه على خطئهم، ووههم في تفسيرهم لما ورد في كتاب سيبويه.

كل هذه الطرق المتنوعة التي أتبعها السيرافي وغيرها ممّا لم نذكره كان سببها رغبة السيرافي في توضيح أسلوب الكتاب، وعباراته، والآراء فيه وتبيين ما فيه من أخطاء لم ترد عن سيبويه، ورداً على من اعترضوا على سيبويه أو خطأوه حتى يحظى القارئ بما يفيد، وليقف القارئ على الصحيح من عبارات الكتاب.

ويكفينا دلالة على رغبة السيرافي في شرح كتاب سيبويه وتكملة ما نقص منه أو توضيح ما غمض، البابان اللذان عقدهما بعد الانتهاء من شرح الكتاب وهما: باب قال عنه أنه (باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه، وتفسيره) (29) ، والثاني (باب في إدغام القراء) (30) بقوله: أذكر فيه ما ادغموه، واكتفي بذكر بعضه عن ذكر جميعه، فما كان موافقاً لكتاب سيبويه فقد مرّ الاحتجاج له في جملة ما مضى من كلامه.

### المبحث الثاني - شرح الرّماني لكتاب سيبويه:

**التعريف بالرّماني:** هو أبو الحسن عليّ بن عيسى بن علي بن عبد الله، ويُعرف بالأخشيدي ، وبالوراق، وبالجامع، وهو بالرّماني أشهر. والرّماني (بضم الراء وتشديد الميم) نسبة قيل: إنّها إلى الرّمان وبيعه، وقيل: أنّها إلى قصر الرّمان بواسطة، قال ابن خلكان: "هذه النسبة يجوز أن تكون إلى الرمان وبيعه، ويمكن أن تكون إلى قصر الرّمان، وهو قصر بواسطة معروف، وقد نسب إلى هذا وهذا خلق كثير" ، وأمّا (الوراق) فنسبة عرفه بها كثيرون كياقوت والكتبي وابن قاضي شهبه وغيرهم، وهي نسبة إلى حرفة الوراق وما دفعه إلى هذه زهده وورعه. (31)، وأمّا (الأخشيدي) فنسبة إلى شيخه المعتزلي أبي بكر أحمد بن علي الأخشيدي (326)هـ،

الذي كان أحد كبار المعتزلة في بغداد، وكان الرّماني قد أخذ عنه ولازمه حتى عدّ من أصحابه، وأمّا (الجامع) فصفة عُرف بها الرّماني لكثرة جمعه بين العلوم، إذ جمع في تدريسه بين القرآن والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام. وُلِدَ الرّماني ببغداد سنة (296 هـ) ، ومات فيها ليلة الأحد الحادي عشر من جمادي الأولى سنة (384 هـ) .

أمّا عن شيوخه وتلاميذه ومصنفاته وثقافته وعقيدته مالا يتسع المقام لذكرها وحصرها.(32)

**وصف عام لشرح الرّماني :** أشار إلى وصف الكتاب أغلب من ترجموا له، وسمّاه بروكلمان "المبسوط في شرح كتاب سيبويه" وهو الاسم الذي ذكره ابن سيدة في مخصّصه.(33)، وقد قسّم الرّماني شرحه إلى سبعة وستين قسماً كما يظهر من الفهرس. وطريقة الرّماني في هذا الشرح تختلف عن طريقة سيبويه، كما تختلف عن طريقة السيرافي التي اتبعها في شرحه.(34) . أمّا عن نسخ الشرح فلا نعرف لشرح الرّماني غير نسختين، إحداهما التي تضمّها مكتبة فيض الله باسطنبول، ورقمها فيها (1984)، وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة نسخة مصوّرة عنها رقمها في مكتبة المجمع (183) نحو. والنسخة الثانية هي التي أشار إليها ديرنيورج محقق كتاب سيبويه في مقدمته الفرنسية للكتاب، حيث ذكر أنّ في مكتبة فيينا نسخة مكتوبة بخط نسخي آسيوي (مشرقي)، وهي تبدأ من الجزء الثالث من الشرح وتنتهي بقول الناسخ: "تمّ شرح كتاب سيبويه رحمه الله إملاء الشيخ الفاضل أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي أسعده الله، وفرغ من إملائه يوم السبت لليلتين خلّتا من رمضان سنة (369هـ) . (35)

- **منهج الشرح وطريقته:** اتّبع الرّماني في شرحه للكتاب طريقة واحدة التزمها في جميع أبواب الشرح، ولعلّ منهج الرّماني في هذا الشرح منهج فريد في أسلوبه وطريقته بين كتب النحو جميعاً.

وهو منهج أساسه تقسيم الباب إلى أربعة عناصر هي: عنوان الباب، والغرض منه، ومسائل الباب، والجواب عنها.

وفيما يلي توضيح لهذه العناصر:

**1- عنوان الباب :** لم يتّقد الرّماني بعنوانات (الكتاب)، بل كان يأخذ بعضها ويغير بعضها الآخر، كأن يذكر منها ما اتضح معناه وظهر الغرض منه، أمّا ما غمض ودقّ فكان يستبدل به عنواناً أكثر وضوحاً وأشدّ دلالةً على الباب، وإنّ كثيراً



من عنوانات سيبويه لا يتضح منه القصد، إلا إذا عُرف موضعه بين الأبواب ورُبط بما سبقه منها، فمن ذلك مثلاً قول سيبويه: "هذا باب يختار فيه الرفع" (36)، فهذا عنوان لا يظهر لنا القصد منه ما لم نعرف أنّه يبحث في المصادر، وأنّه تقدم قبله باب ما ينتصب فيه المصدر. وأمّا العنوان عند الرّماني فمعنى واضح قائم بنفسه مستغن عن أن نستعين على فهمه بغيره، وما كان شأنه كذلك من عنوانات الكتاب، فقد أثبتته الرّماني بنصه في الشرح، كبعض أبواب الاستثناء والنداء والجر وغيرها. (37)

**2- الغرض من الباب:** وهو العنصر الثاني من العناصر التي يقوم عليها الباب في شرح الرّماني، ويطلعنا هذا الغرض بعد كل عنوان في جميع الأبواب بلا استثناء، وقد استطاع الرّماني أن يوجز غرض كل باب في سطرٍ واحدٍ أو سطرين بيّن فيهما غرض الباب، وقصد سيبويه فيه. وتتصف الأغراض جميعاً بكونها عامة، لا تُعنى بجزئيات الموضوع، لأنّ الرّماني يرى أنّ سيبويه قصد في جميع أبواب الكتاب أن يبيّن ما يجوز فيها ممّا لا يجوز. وقوله: "الغرض منه أن يبيّن أي سيبويه- ما يجوز في باب كذا.. ممّا لا يجوز" يطلعنا في جميع الأبواب. وإنّ تحديد (الغرض) في مطلع كل باب أمر له أهميته عند الرّماني، وله قيمة خاصة" ونحن نبحت في منهج الرّماني النحوي، وذلك لأنّ تحديد الغرض يعني وضوح الموضوع النحوي في ذهن صاحبه وأنّه ذو تفكير منطقي.

**2- مسائل الباب :** وهذه المسائل عبارة عن مجموعة ضخمة من الأسئلة المركّزة يسوقها الرّماني في كل باب من أبواب الشرح، ونجدها في مفتتح الأبواب ذات صيغة واحدةٍ لأنّها تبدأ دوماً بالسؤال عمّا يجوز وما لا يجوز، وعن علّة هذا الجواز وعدمه، ثم تختلف الأسئلة بعد ذلك، وتختص بحسب طبيعة كل باب. ولم يدع الرّماني رأياً من آراء "الكتاب" ولا حكماً من أحكامه ولا شاهداً من شواهد الإبنى عليه جملةً من المسائل، ما هو؟ ولم كان ذلك؟ وكيف؟ وما الحكم فيه؟ وما علّة هذا الحكم؟ وكيف ينطبق هذا الحكم على هذا الشاهد؟ وكيف يعود ذلك كلّهُ إلى المعنى العام للباب. (38)

**1- الجواب عن مسائل الباب:** وهو آخر العناصر التي يقوم عليها الباب في شرح الرّماني، وأهم تلك العناصر، فيبدأ أبو الحسن الرّماني هنا بالإجابة عن تلك المسائل الكثيرة المتشعبة التي أوردها من قبل، وهو يجيب عنها بإحكام فتتقابل الأجوبة هنا مع المسائل المتقدمة هناك، ولمّا كانت الأسئلة مبنيةً على كلام سيبويه وجاريةً معه، وكانت الإجابة عنها مرتّبة بانتظام فقد جاءت الأجوبة في جملتها شرحاً رائعاً لكلام

سيبويه، ولذلك كان هذا العنصر أهم عناصر الشرح، لأنّه هو نفسه الشرح، وإن كانت العناصر السابقة عناصر ضرورية مهّدت للشرح وزادت في بيانه ووضوحه. (39)

**منهج الرّماني في شرحه:**

إنّ شرح الرّماني في جملته ليس مقتصراً على مادة (الكتاب)، فلم يكن الرّماني ليكتفي بشرح كلام سيبويه، والذين نقل عنهم كالخليل وعيسى بن عمر، ويونس، وإنّما كان يتعدّاهم إلى من جاء بعدهم كالمازني والمبرد وابن السراج والرّجّاح والفراء. ولم يكن الرّماني في نقله لأراء النّحاة ومناقشته لها تبعاً لواحد منهم، ولا موالياً لمذهب من مذاهبهم بعينه، وإنّما كان حرّاً معتدّاً بنفسه واثقاً بعلمه، يناقش ويجادل ثم يصدر رأيه عن بصيرة واقتناع. ومن أسلوب الرّماني في شرحه أنّه كثيراً ما ينقل كلام سيبويه أو يشير إليه دون أن يذكر اسمه، كأن يقول في مطلع الباب مثلاً:

"الغرض منه أن يُبيّن -أي سيبويه- ما يجوز في هذا الباب ممّا لا يجوز".

وإذا وجد الرّماني في الكتاب شيئاً من سهوٍ في النصّ، أو اختلاف بين النسخ وقف عنده ونبّه عليه ومن ذلك قوله: "وقع في الكتاب: لا يقال، وأظنه مريت في الوجه الذي لا يتعدى". (40)، وهو يشير إلى قول سيبويه: "ومثله في أنّه جاء على فعلٍ لم يستعمل مريّ ومريّة، لا نقول مرت وهذا النحو كثيرٌ" (41)، وكذلك يقف الرّماني إذا رأى سيبويه يتعرض في الكتاب لشيء ليس من النحو-يشرح وجهة نظر سيبويه- ويذكر العلة في إيراد ما أورده، ويبين الصلّة بينه وبين النحو، ومن ذلك وقوفه عند قول سيبويه في (باب ما ينتصب من الأماكن والوقت) ".... وهذه حروف تجرى مجرى خلفك وأمامك، ولكننا عزلناها لنفسر معانيها لأنّها غرائب".

فقد وقف الرّماني هنا ؛ لأنّ تفسير الغرائب أمر ليس في النحو ولكنه سرعان ما اعتمد على عقله المنطقي وأدرك غاية سيبويه، ووقف إلى جانبه مُعَلِّلاً عمله فقال في مسائل الباب: "لم يدخل في هذا الباب تفسير الغريب وليس في صناعة النحو؟"، ثم قال في الجواب: "وإنما أدخل في هذا الباب تفسير الغريب للحاجة إليه في كشف الوجه الذي يقع عليه الإعراب...". (42)، وبذلك علّل الرّماني عمل سيبويه وتفسيره للغريب، وهو يبحث في النحو بل وضع قاعدة عامة ضمّنها رأيه في تداخل الصناعات أو العلوم ومتى ينبغي له أن يكون.

ونختم الكلام على شرح الرّماني بمثال يُبين لنا طريقته التي تحدثنا عنها، قال في أول باب عدد الحروف العربية وأحوالها: "باب عدد الحروف وأحوالها. الغرض فيه أن يُبيّن ما يجوز في عدد الحروف العربية وأحوالها ممّا لا يجوز.

مسائل هذا الباب: ما الذي يجوز في عدد حروف العربية وأحوالها وما الذي لا يجوز، ولم ذلك، ولمّ جاز في عدد الحروف العربية ثلاثة أقسام، والأصل واحد منها، وهي التسعة والعشرون حرفاً، والقسم الثاني مستحسن وهو ستة أحرف، ولمّ كان الأصل في هذه الستة تسعة وعشرين حرفاً، ولمّ كانت مستحسنة، وهي النون الخفيفة، وهمزة بين بين، والألف الممالة، وألف التفخيم، والشين كالجيم، والصاد كالزاي، ولمّ كان القسم الثالث بحروف غير مستحسنة، ولمّ جازت، وما هي.... وكم مخارج الحروف العربية؟ وما هي، وكم للحلق منها...."

الجواب : الذي يجوز في عدد حروف العربية إجراؤها على ثلاثة أقسام، والأصل فيها واحد من الأقسام الثلاثة، وهي تسعة وعشرون حرفاً أصولاً، وخمسة وثلاثون، ستة أحرف مستحسنة، واثنان وأربعون حرفاً، سبعة أحرف مستقبحة: فالمستحسنة: النون الخفيفة، وهمزة بين بين، الألف الممالة، وألف التفخيم، والشين كالجيم، والصاد كالزاي، فتلك ستة أحرف، وإنما كانت مستحسنة، لأنّه يطلب بها وجه يُقوّس في المطلوب من خفة أو حسن في المسموع، أو مشاكلة في الأصل، أو تفخيم المعنى بتفخيم اللفظ، فالنون الخفيفة يطلب بها العنة التي لها حسن في المسموع، وهمزة بين بين، يطلب بها الخفة، والألف الممالة يطلب بها الخفة، أو مشاكلة الأصل الذي هو الياء، وألف التفخيم يطلب بها تفخيم المعنى، كقولهم الطلاة والزكاة، والشين كالجيم يطلب بها الحرف الأقوى إذ كان في الشين التفشي والانتشار، والجيم من مخرجها، وهي أقوى منها، والطاء كالزاي ويطلب بها الحروف المجهود الذي هو أحسن في المسموع، وقد قرئ مثل هذا في: "الزراط"، فقربت (الصاد) من (الزاي)، فكل هذا مستحسن لقوة المطلوب. فأما الحروف المستقبحة فإنّها تجري مجرى اللثغة في العجز عن إخراج الحرف على حقه وهي: الكاف كالجيم، والجيم كالكاف، وهذا ضعيف جداً لتباعد ما بين الحرفين وهو دليل على العجز عن إخلاص الحرف على حده، والشين كالجيم، لأنه ضد المطلوب، إذ كانت الجيم أقوى من الشين، وكذلك الطاء كالتاء بقوة الطاء بالاستعلاء والأطباق والجر، والصاد الضعيفة للعجز عن إخراجها قوية على حقها...." (43)

وهكذا استمرّ الرّماني في شرحه على الإجابة على كل المسائل المتعلقة بهذا الباب. ويمكن تلخيص منهج الرّماني في شرحه على الكتاب بالنتائج الآتية:

1- وضع الرّماني للشرح خطة واحدة اتبعها بدقة في جميع الأبواب فجاء الشرح - على طوله- نسقاً واحداً يدل على عقل يتقن التصنيف والتبويب.

- 2- تمتاز خطة الشرح بأنها منطقية في وضعها وفي تسلسل مراحلها من العنوان المحدد، إلى الغرض الموضح، إلى السؤال المتتابع المركز إلى الجواب المعلل الشامل.
- 3- عنوان الباب عند الرّماني معنى واضح الدلالة، ولفظ أدق وأكثر تحديداً مما هو عليه عند سيبويه.
- 4- تدرج الرّماني بمسائل الأبواب من أعم العام إلى أخص الخاص، وهو التدرج المنطقي المعقول.
- 5- وضع الرّماني أجوبة الأبواب مقابل المسائل، فكان لكل سؤال جواب يقابله في موضعه.
- 6- كان الرّماني في نقله لكلام النحاة ومناقشة لأرائهم حر الفكر واثقاً بعقله وعلمه يعرض ويناقش ثم يرهن ويحكم.
- 7- إذا رأى الرّماني أن هناك في الكتاب سهواً أو اختلافاً بين النسخ، وقف عنده ودلّ عليه.

## الخاتمة :

موازنة بين الشرحين : على الرغم ممّا تمّ ذكره عن شرح السيرافي وشرح الرّماني لكتاب سيبويه، فيمكن أن أضع موازنة بينهما في كثير من الصفات التي يشترك فيها هذان الشرحان، ومواقع الاختلاف كذلك، وهي كالاتي:

- يتفق شرحا السيرافي والرّماني في الغاية التي يهدفان إليها، ويختلفان في الطريقة التي اتبعها لتحقيق تلك الغاية.

- يتفقان في أنّهما يشرحان الكتاب، وأنهما لا يكتفيان بمادته بل يزيدان عليها كثيراً ممّا أوجزه الكتاب، ولم يستقصه، فيأتیان بالأراء المتأخرة عنه، ويأتي السيرافي في شرحه بكثير ممّا تركه سيبويه، كما يأتي الرّماني في شرحه بمسائل سئل عنها في عصره فأوردها وأجاب عليها في الشرح، وليست في الأصل من مسائل الكتاب. (44)

- ويتفق الشرحان في التدقيق في نص الكتاب، وذكر ما جاء فيه من سهو أو غلطٍ أو نقص، فقد فعل السيرافي ذلك حين نبّه على الغلط في أرض وأراض، وأخ وإخوة، كما فعل الرّماني حين نبّه على ما يعتقده من نقص في (مرت).

- ويشترك شرحا السيرافي والرّماني - أيضاً - في ذكرهما للأراء المتأخرة عن عصر سيبويه، وذكر ما خولف فيه وردّ ما اعترض به عليه.

- كما يتفق الشرحان في صفة غلبة النزعة البصرية عليهما، وإن كانت بصرية السيرافي أبرز وأوضح منها عند الرّماني.

أمّا أوجه الاختلاف بين الشرحين فكثيرة، منها أن السيرافي لم يتبع في شرحه خطة واحدة، وإنما كان ينوع الأساليب وفق طبيعة الباب الذي يشرحه، على حين وضع الرّماني خطة واحدة تقيد بها في جميع أبواب الشرح.

ويُقدّم السيرافي في صدر أكثر الأبواب ما يسمّيه بترجمة الباب، وهي عبارة عن موجز يضمنه المعنى العام للباب وحكمه، وهي تقابل (غرض الباب) في شرح الرّماني، ولكن فرق بعيد بين من يقدم معنى موجزاً وبين يدي شرحه المفصل وبين من يضع أمامه غرضاً عاماً واضحاً ثم يسعى في شرحه إلى تحقيقه، وفرق بعيد آخر بين من يبدئ ويعيد ويطيل ويسهب لشرح ما يريد شرحه كما فعل السيرافي وبين من يقصد إلى غايته بأسلوب غاية في الإيجاز والتركيز كما فعل الرّماني.

- يمتاز شرح السيرافي بميزة خاصة في عنايته بالشواهد، إذ يقف السيرافي منها موقف الراوية الحافظ، واللغوي البصير، والباحث الناقد، فهو يبحث عن سند الشاهد حتى تثبت لديه صحة نسبته إلى قائله، ثم يبحث بعد ذلك عما فيه من شاهد نحوي ليحكم بصحة الاستشهاد به أو بتركه وإسقاطه، ولم تكن عند الرّماني مثل هذه العناية بالشواهد، وإنما كان يكتفي بإيرادها كما أوردها سيبويه دالاً على موطن الشاهد النحوي والحجة فيه.

## الهوامش :

- 1- ينظر: وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978 م، ج 1/ ص360 أو بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، ط الأولى، 1946 م، ص 507.
- 2- ينظر: نشأة النحو، الشيخ محمد الطنطاوي، تح: عبدالرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة أحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 2005 م، 1426 هـ، ص 148.
- 3- ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات الأنباري، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الزرقاء - الأردن، الطبعة الثالثة، 1985م، ص 218.
- 4- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، تح: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412 هـ، 1992 م، ج 7 / ص95.
- 5- ينظر: الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، 1995 م، ص 142.
- 6- ينظر: الفهرست، محمد بن إسحاق البغدادي المعروف بابن النديم، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1417 هـ، 1997 م، ص 62.
- 7- ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج 12/ ص438.

- 8- ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، (368 هـ) ت، أحمد حسن مهدي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج 3، ص 187، والكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر والملقب سيبويه (ت 180 هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988م، ج2/ ص157.
- 9- ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج 3/ ص187.
- 10- ينظر: الشرح، ج 4/ ص 171.
- 11- ينظر: الشرح، ج 3/ ص 102.
- 12- ينظر: المصدر السابق، ج 3/ ص 102.
- 13- ينظر: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبدالله بن المزربان، تحقيق أحمد حسن مهدي، علي رشيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008 م، ج1/ ص9.
- 14- سورة الرحمن، الآية: 43.
- 15- سورة الانعام، الآية: 154.
- 16- سورة البقرة، الآية: 26.
- 17- سورة مريم، الآية: 69.
- 18- ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج 4/ ص274.
- 19- ينظر: كتاب سيبويه وشروحه، د. خديجة الحديثي، ص 186.
- 20- ينظر: الشرح، ج 3/ ص 142.
- 21- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي، ج3/ ص38.
- 22- ينظر: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي، ج4/ ص253.
- 23- ينظر: الشرح، ج 3/ ص61، ج 4/ ص245.
- 24- ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج1/ ص188.
- 25- ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج1/ ص189.
- 26- ينظر: الكتاب، ج 1، ص 268، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج2/ ص496.
- 27- ينظر: الكتاب، ج 2، ص 199، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج 4/ ص356.
- 28- ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج5/ ص152.
- 29- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ج5/ ص462.
- 30- شرح كتاب سيبويه للسيرافي ج5/ ص472.
- 31- ينظر: وفيات الأعيان، ج 2/ ص 461، وبغية الوعاة، ص 176، ونزهة الألباء، ص218.
- 32- ينظر: الرّماني النحوي في ضوء شرح كتاب سيبويه، ص 51، 52، 53.
- 33- ينظر: المخصص لابن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، من دون رقم الطبعة، ج1/ ص13.
- 34- ينظر: كتاب سيبويه وشروحه، ص 204.
- 35- ينظر: الرّماني النحوي في ضوء كتاب سيبويه، ص 165.
- 36- ينظر: الكتاب، ج 1/ ص 181.
- 37- ينظر: الرّماني النحوي، ص 198 – 200.
- 38- ينظر: الرّماني النحوي، ص 202.
- 39- ينظر: الرّماني النحوي في ضوء شرح كتاب سيبويه، ص 210.
- 40- ينظر: شرح كتاب سيبويه لعلي بن عيسى الرّماني (384 هـ) ت: إبراهيم يوسف شبيبه، ج 4/ ص 37.
- 41- ينظر: الكتاب ج 2/ ص 213، وشرح الرّماني، ج2/ ص184.
- 42- ينظر: شرح الرّماني، ج 2/ ص 39.
- 43- ينظر: كتاب سيبويه وشروحه، ص 209-214.
- 44- ينظر: الرّماني النحوي في ضوء شرحه